مجلة المعيار ISSN :2588-2384
مجلد: 23 عدد: 45 السنة: 2019

التغيير الحضاري في منظور روجيه غارودي

د.الشريف طاوطاو

جامعة عباس لغرور خنشلة
taou_cher01@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2018/10/11 / القبول:2019/01/02/ النشر على الخط:2019/01/05
Received: …… / Accepted: …….. / Published online: …….

الملخص

يتناول هذا المقال موضوع التغيير الحضاري عند "روجيه غارودي"، هذا الفيلسوف الذي تميزت مسيرته الفكرية والنضالية بكثرة الانعطافات، بحيث تقلب بين المسيحية والماركسية والإسلام، إلا أن ذلك لم يؤثر على وحدة مشروعه الفكري، حيث نجد في هذا المشروع جانبين: جانب نقدي، تمثل في نقده للنموذج الحضاري الغربي، كونه نموذج مادي لا إنساني، وبالتالي، فهو يحمل بذور فنائه، ولأن هذا النموذج صار هو المهيمن على الحضارة المعاصرة، بفعل العولمة، فإنه سيتسبب كما يقول غارودي في انتحار كوكبنا، وهذا ما يجعل من التغيير الحضاري أمرا حتميا واستعجاليا. وأما الجانب التركيبي فيتمثل في المشروع الحضاري البديل الذي يعول عليه في إنقاذ الحضارة المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التغيير الحضاري، روجيه غارودي، النموذج الحضاري الغربي، الحضارة المعاصرة، الإسلام.

Civilizational Change In Roger Garaudy's Perspective

Abstract

This article deals with the subject of civilizational change in Roger Garaudy's thought, a philosopher whose intellectual and activist life witnessed a lot of turns from Christianity to Marxism and then to Islam. However, those turns of his life did not affect the unity of his intellectual project. This later has two aspects. The first aspect is the critical aspect, where he criticized the Western civilization of being a materialistic and inhuman model, and thus bearing the seeds of its disintegration. Moreover, as this model has become the dominant over contemporary civilization, because of globalization, it will cause, as Garaudy says, suicide of our planet. Therefore, there is an inevitable and urgent need for civilizational change.

The second aspect of Garaudy's project is the structural aspect. That is the alternative civilizational project, which is capable of saving contemporary civilization.

Keywords: Civilizational Change, Roger Garaudy, Western Civilizational Model, Contemporary Civilization, Islam.

مقدمة

لقد كان اعتناق "روجيه غارودي"[1] Roger Garaudy) للإسلام منذ ثمانينيات القرن الماضي(1982) حدثا فكريا وإعلاميا كبيرا، كيف لا؟ وهو الفيلسوف والسياسي الماركسي الذي شغل الرأي العام الغربي بأطروحاته المدوية والمثيرة للجدل، ويمكننا أن نقرأ في هذه الانعطافة الفكرية دلالة حضارية مهمة، وهي أن الرجل لم يجد الحقيقة التي كان يبحث عنها دوما، ولا السعادة والطمأنينة التي كان ينشدها في الحضارة الغربية، ما جعله يكرس مشروعه الفكري لنقد النموذج الحضاري الغربي الذي رأى فيه نموذجا مأزوما. والواقع أن غارودي لم يكن الوحيد من المفكرين الغربيين ممن انتقد الحضارة الغربية وأعلن إفلاسها، بل ثمة كثيرين غيره ممن قاسموه هذا الموقف، وهو ما جعل بعضهم يختار على غرار غارودي الإسلام وجهة له، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر رينيه غينون (الشيخ عبد الواحد يحي)، مراد هوفمان، أريك يونس جوفرا، فريتجوف شيون (الشيخ عيسى)، جيفري لانج، محمد أسد وغيرهم كثير.

ولأن الحضارة الغربية صارت بفضل ما أوتيت من قوة مادية تهيمن على معظم حضارات العالم، متخذة من العولمة وسيلة لها في فرض نموذجها الحضاري على العالم كله، خصوصا وأنها وجدت المجال مهيأ لها، بعد أن دخلت معظم الحضارات الإنسانية الأخرى مرحلة مابعد الحضارة، بحسب تعبير مالك بن نبي، وهكذا أصبح الكل مستهلكا للحضارة الغربية بايجابياتها وسلبياتها، وهو ما أدى إلى تعميم وعولمة مشاكل الحضارة الغربية وأزماتها بعد أن صار العالم بمثابة قرية كونية صغيرة، ومن هنا، فإن التغيير الحضاري يصبح مطلبا حتميا استعجاليا لوقف الانحلال والتفسخ الحضاري. وهكذا، فقد كرس غارودي مشروعه الفكري لهذا الموضوع، فكان مشروعا حضاريا بامتياز، يتناول في شقه النقدي مظاهر وأسباب أزمة الحضارة الغربية، بينما تكفل الشق التركيبي بتقديم تصور لمشروع حضاري بديل من شأنه إنقاذ مستقبل الحضارة والإنسان. وبالنظر إلى أهمية هذا الموضوع، ولأننا معنيون به بشكل مباشر، من حيث أننا لم نعد بمعزل عن الحضارة الغربية التي فرضت نفسها علينا من خلال مشروع العولمة، ومن حيث أن غارودي (في محطته الفكرية الأخيرة) مفكر مسلم يقدم مشروعا حضاريا إسلاميا، فقد خصصنا هذا المقال للوقوف على فلسفة التغيير الحضاري في مشروعه الفكري، ومن ثمة، جاءت إشكاليته الرئيسية على النحو التالي:

ماهي ملامح فلسفة التغيير الحضاري عند غارودي؟ وتتفرع هذه الإشكالية إلى جملة من المشكلات هي:

. ماهي مبررات التغيير الحضاري عنده؟ ما طبيعة التغيير الحضاري المنشود؟ وماهي معالمه؟ وأخيرا، أي دور للإسلام في هذا التغيير الحضاري المنشود؟

أولا: مبررات التغيير الحضاري ودواعيه عند غارودي

[1] روجيه غارودي: مفكر وفيلسوف فرنسي معاصر، ولد بمرسيليا عام 1913 وتوفي عام 2010، اعتنق الإسلام منذ العام 1982، بعد أن كان مسيحيا ثم ماركسيا، دون أن يعني ذلك تخليه عنهما، فقد كان فيلسوفا منفتحا يؤمن بالحوار بين الأديان في إطار الرؤية التوحيدية الإنسانية، وقد ترك وراءه العديد من المؤلفات التي ضمنها مشروعه الفكري الحضاري، لعل أهمها: نداء إلى الأحياء، ماركسية القرن العشرين، منعطف الاشتراكية الكبير، نداء إلى الأحياء، كيف صنعنا القرن العشرين؟، كيف نصنع المستقبل، حوار الحضارات، مشروع الأمل....

إن ما نقصده بالتغيير الحضاري هنا هو محاولة استبدال نموذج حضاري مأزوم ومفلس بنموذج حضاري آخر يمثل بديلا له، إنه بتعبير آخر محاولة القيام بانقلاب حضاري يمس الأسس البنيوية لحضارة ما أو لنموذج حضاري ما، فما يميز هذا التغيير إذن، هو أنه لا يخص جانب من جوانب المجتمع أو الدولة على نحو ما يكون التغيير الاجتماعي أو الانقلاب السياسي مثلا، بل هو تغيير جوهري راديكالي يمس الحضارة ذاتها التي ينتمي إليها المجتمع أو الدولة، على اعتبار أن المشكلات التي يتخبط فيها المجتمع أو الدولة ترتد بالأساس إلى النموذج الحضاري الذي يتبناه المجتمع أو الدولة.

ويعد "غارودي" من أبرز المفكرين المعاصرين الداعين إلى التغيير الحضاري، الذي تمثل عنده في حتمية الانقلاب على النموذج الحضاري الغربي واقتراح نموذج حضاري بديل. والمنطلق الأساسي لدعوته هذه، هو أن الحضارة المعاصرة تمر بأزمة خطيرة مصدرها الأنموذج الحضاري الغربي، باعتبار أن الحضارة الغربية أصبحت اليوم تهيمن على جميع الحضارات وتفرض أنموذجها على العالم كله من خلال مشروع العولمة، فبفضل هذه العولمة أصبحت مشكلات الحضارة الغربية وأزماتها مشكلات عالمية، ذلك أن الغرب لم يصدر فقط منتجات حضارته المادية إلى مختلف بلدان العالم، بل وصدر معها مشكلاتها وأزماتها، على اعتبار أننا هنا أمام نموذج حضاري يرتكز على نموذج معرفي كامن، فلا يمكن، بالتالي، أن نفصل السلعة أو المنتوج الحضاري عن هذا النموذج المعرفي، وبالتالي، فلا يمكن استيراد منتجات الحضارة الغربية واستهلاكها دون أن نستهلك معها هذا النموذج المعرفي بايجابياته وسلبياته، وهكذا أصبحنا نرى كيف أن المشكلات والأزمات الاقتصادية والأخلاقية والسياسية والدينية التي تحدث في الغرب تظهر تداعياتها في مختلف أنحاء العالم، فقد جعلت العولمة من العالم قرية كونية صغيرة، وجعلت من حضارات العالم حضارة واحدة، أو هذا ما تسعى إليه. وهذا يعني أن مصير الإنسانية اليوم قد صار واحدا في ظل حضارة معاصرة واحدة، وبالتالي، فإن تدهور أو أفول الحضارة الغربية ستكون له تداعياته على سائر الحضارات والشعوب الأخرى. وهنا نتساءل: ماهي ياترى مظاهر التأزم التي رصدها غارودي في النموذج الحضاري الغربي جعلته ينادي بحتمية التغيير الحضاري؟

لقد قام غارودي بتحليل تاريخي نقدي لمسار الحضارة الغربية، جعلته يصل إلى نتيجة وهي أن هذه الحضارة تحمل بذور فنائها، حيث رصد مجموعة من الظواهر السلبية التي بإمكانها أن تقود هذه الحضارة نحو الانحطاط والأفول، الأمر الذي جعله يدق ناقوس الخطر. حيث يقول في ذلك: "منذ خمسة قرون والغرب يسيطر على العالم دون أن يواجه أي تحد، وكان الإفلاس نتيجة هذه الهيمنة. ففي العام الماضي وحده [1986م]، تم إنفاق سبع مائة بليون دولار على الأسلحة (في الغرب، يعد كل واحد من خمسة أفراد يعملون لصالح الحرب على نحو مباشر أو غير مباشر، بدءا بالباحثين العلماء وانتهاء بصغار العمال). فنجم عن ذلك أن ما يسمى بالدول المتطورة قد قامت – حتى الآن– بتكديس قنابل يعادل تدميرها مليون مرة ما فعلته قنبلة "هيروشيما" [...] وفي العام نفسه مات جوعا أو بسبب سوء في التغذية ثمانون مليون نسمة في مختلف أنحاء العالم"[1].

ففي هذا النص يقدم غارودي مؤشرين قويين من بين مؤشرات عدة على أزمة الحضارة الغربية، أما المؤشر الأول فيتمثل في ظاهرة الحرب، فالعالم المعاصر يعيش تحت تأثير هاجس الحرب، فالحرب تقرع طبولها في كل حين، وبؤر الحرب والتوتر تنتشر في

[1] غارودي، البديل هو الإسلام، ضمن مؤتمر القمة الإسلامي الخامس، حول الإسلام والمستقبل، الكويت، 1987، ص 121.

مختلف مناطق العالم، وبسبب هذا الهاجس الأمني تطورت الصناعة الحربية وازداد الإنفاق العسكري من خلال صناعة الأسلحة الفتاكة والمتاجرة بها، فميزانية الحرب (وهي ما يسمونه عادة ميزانية الدفاع التي تتبع وزارة الدفاع أو بالأحرى وزارة الحرب)، تعد من أعلى الميزانيات في الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل وروسيا وكوريا الشمالية والصين وكثير من البلدان الغربية. ولا شك أن هذا الارتفاع في ميزانية الحرب وفي تكاليف الصناعات الحربية كان على حساب قطاعات أخرى، هي بالأساس قطاعات إنسانية مثل قطاع الصحة، وقطاع التعليم، وقطاع الشغل...إلخ. وأما المؤشر الثاني لهذه الأزمة فيظهر في ارتفاع نسبة الوفيات وخصوصا في صفوف الأطفال على نحو ما نراه في البلدان الإفريقية التي تعاني من شدة الفقر والمجاعة، في الوقت الذي نجد هذه البلدان تعيش حروبا أهلية أدت إلى ازدهار تجارة الأسلحة، وذلك بتشجيع وإيعاز من الشركات الغربية التي تتاجر في الأسلحة، فهذه الأخيرة هي في الغالب من تؤجج الصراعات والحروب لكي تنتعش تجارة الأسلحة وهو ما يعود عليها بالأرباح المادية، فهذه الشركات لا يهمها سوى الربح المادي دون أي اعتبار للجانب الإنساني.

إن غارودي يرى في تطور الصناعة العسكرية مؤشرا قويا على الأزمة التي تتخبط فيها الحضارة الغربية، فكتب في هذا الخصوص كتابه الموسوم بـ "الولايات المتحدة طليعة الانحطاط"، وهو عنوان له دلالته، إذ يكشف أن معيار التقدم عند غارودي ليس معيارا ماديا بل معيار إنساني، وإلا لكانت الولايات المتحدة في طليعة التقدم لا في طليعة الانحطاط، كما كتب كتابه "حفارو القبور" الذي هو بمثابة نداء جديد إلى الأحياء[1]، من أجل إنقاذ الإنسانية والحضارة من أنانية وجشع هؤلاء الرأسماليين والماديين الذين يتسببون في حفر قبور للأطفال والفقراء يوميا.

وفي نظر غارودي، فإن الأزمة التي تعيشها الحضارة الغربية قد بلغت درجة كبيرة من الخطورة خلال القرن العشرين، وأن استمرارها سيؤدي إلى "انتحار كوكبنا". ويستخدم غارودي عبارة "انتحار" في حديثه عن مستقبل الحضارة الغربية، للدلالة على أن أفول هذه الحضارة لن يكون بفعل عوامل خارجية كالاستعمار الخارجي أو العوامل الطبيعية أو غيرهما من العوامل التي أدت إلى أفول بعض الحضارات القديمة، لأن هذه الحضارة تحمل بذور فنائها. والحقيقة أن فكرة "انتحار الغرب"، أي، أفول حضارته بفعل عوامل داخلية، لم تظهر مع غارودي بل نادى بها بعض فلاسفة التاريخ والحضارة من قبله على غرار أرنولد توينبي، وألبرت شفيتسر وغيرهما، غير أن أسباب هذا الانتحار وتفسيراته تختلف من مفكر لآخر وذلك باختلاف المرجعيات والرؤى الفكرية.

وإذا كان غارودي يبدو متشائما في استشرافه لمصير الحضارة الغربية، على غرار كثير من فلاسفة الحضارة الغربيين الذين تحدثوا عن أفول هذه الحضارة وانتحارها وأزمتها وإفلاسها وما إلى ذلك من المفاهيم التي تعكس هذه النظرة التشاؤمية[2]، فإن ما

[1] كان غارودي قد كتب قبل هذا الكتاب كتابا في نقد النموذج الغربي (الليبرالي) في النمو عنونه ب نداء إلى الأحياء، وبعده بسنوات نشر كتابه حفارو القبور وذيله بعنوان فرعي هو نداء جديد إلى الأحياء، أعاد التذكير فيه بمساوئ هذا النموذج وخصوصا بعد ما بلغت الرأسمالية مرحلة متقدمة عقب سقوط الاتحاد السوفياتي وظهور العولمة، وهي التي أطلق عليها بالرأسمالية المتوحشة.

[2] نشير هنا على سبيل المثال إلى كتاب شبنجلر: سقوط الغرب، وكذلك توينبي: حرب وحضارة، وألبرت شفيتسر: فلسفة الحضارة، ورينيه غينون : أزمة العالم الحديث، وجيل ليبوفتسكي: عصر الفراغ، وتشارلز فرنكل: أزمة الإنسان الحديث، وادغار موران: ثقافة أوروبا وبربريتها، وكولن ولسون، سقوط الحضارة، إدغار موران: هل نسير إلى الهاوية؟...إلخ.

يميز غارودي عن كثير من هؤلاء، هو أنه لا يكتفي بالاستسلام لهذا المصير المشؤوم وكأنه قدر محتوم، أو مشيئة إلهية، لا راد لها، بل نجده يرسم طريق إنقاذ هذه الحضارة من الانتحار والإفلاس عبر الدعوة إلى تغيير حضاري راديكالي، كما سنرى، ولكن قبل ذلك سنحاول أن نتعرف مع غارودي على العامل أو العوامل التي يراها سببا في انتحار الغرب، فماهو هذا العامل ياترى؟

إن أزمة الحضارة الغربية، ومن خلالها أزمة الحضارة المعاصرة، مردها في نظر غارودي، إلى طبيعة النموذج الذي اختاره الغرب في النمو والتحديث منذ عصر النهضة، وهو نموذج مادي نفعي فرداني[1]، يسميه غارودي بنموذج "النمو لأجل النمو" La croissance pour La croissance، ففي هذا النموذج لا مجال للحديث عن الغايات الأخيرة للتنمية، بل يصبح النمو غاية في ذاته، وبذلك تضيع الغايات الإنسانية للتنمية، بحيث لا يستهدف النمو هاهنا تنمية الإنسان، بل يصبح الإنسان ذاته وسيلة للنمو، أي لزيادة الكم، يقول غارودي: "يسيطر النمو الاقتصادي اليوم على العالم بأسره، طبقا للمفهوم الغربي، وهو الاستزادة من إنتاج الأشياء أكثر فأكثر، وبسرعة تتعاظم على السواء، سواء أكانت تلك الأشياء مفيدة أم غير مفيدة، ضارة أم قاتلة. تماما كالأسلحة التي غدت تجتذب أعلى الاستثمارات، لأنها تحقق أعلى نسبة من الأرباح. هذا النمو –الذي ليس من ورائه غاية إنسانية– يطغى في العالم، محولا إياه إلى غابة تصطرع فيها القوى النهمة إلى السلطة، كما تتصارع فيها الشهوات المطلقة العنان، مع إصرارها على التوسع، على حساب الأفراد والجماعات والأمم"[2].

إن غارودي يطلق على هذا النموذج في النمو، بنموذج النمو الأعمى، فهو أعمى في نظره، كونه لا يهتم بطرح السؤال: لماذا؟ سواء في الاقتصاد أو في السياسة أو في غيرها من المجالات، وإنما يهتم فقط بطرح السؤال: كيف؟ كيف أحصل على الثروة؟ كيف أشبع لذاتي ورغباتي؟ كيف أتطور؟ كيف أسيطر؟ كيف أملك؟[3].. إن السؤال لماذا؟ هو سؤال الغايات، وهو سؤال الحكمة الذي يندرج في خانة التفكير الميتافيزيقي، ولذلك فهو سؤال مرفوض بالمنظور الفلسفي الوضعي الذي يمثل النموذج المعرفي الكامن الذي يقوم عليه النموذج الحضاري الغربي بوصفه نموذج مادي يهيمن عليه الكم بحسب تعبير رينيه غينون في كتابه "هيمنة الكم". فالفلسفة الوضعية تعتبر السؤال الميتافيزيقي سؤال خال من المعنى. ومن هنا وجب عدم طرحه كما يقول الوضعيون والاكتفاء بسؤال الكيف (كيف؟) وهو سؤال العلم الوضعي الكفيل في نظر الغرب بحل مشكلات الإنسان، ومن ثمة، تحقيق التقدم الحضاري المنشود. لذلك اتخذه الغرب وسيلة له في التحديث والنمو. ومن هنا يرى غارودي بأن مسؤولية الفلسفة الوضعية في أزمة الحضارة الغربية مسؤولية كبيرة، فقد "انتهى هذا العلم المنفصل عن غاياته إلى أن يتجاهل وجود أي من الأشياء التي لا ترى، أو لا تقاس كالحب والجمال والإيمان.. ولقد أصبح هذا العلم المنفصل عن غاياته الإنسانية والربانية "دين الوسيلة" الذي يضع قوة العملاق تحت تصرف قزم فاسد منحرف، واضعا بين يديه تقنية يمكن أن يبيد بها أي أثر للحياة على الأرض اليوم"[4]. هنا إذن تكمن مشكلة العلم الوضعي، فهو علم أحادي البعد، لا يرى في الأشياء والظواهر بما فيها الإنسان

[1] _ René Guénon, La crise du monde moderne, éd. Gallimard,1946. renouvelé en 1973, p143.

[2] غارودي، البديل هو الإسلام، مصدر سابق، ص 122

[4] غارودي، البديل هو الإسلام، مصدر سابق، ص 122

سوى بعدها المادي، بينما يستبعد منها أبعاد الحب والجمال والإيمان، وتحت تأثير هذا العلم ظهر نمط حديث من العقلانية هو العقلانية الأداتية، وهي التي تتوسل بالعقل الأداتي، وهو عقل حسابي مادي يستهدف السيطرة على الطبيعة والسيطرة على الإنسان، فكانت العقلانية الأداتية كما ترى مدرسة فرنكفورت مظهرا من مظاهر أزمة الحداثة الغربية على اعتبار أن هذه الأخيرة اتخذت من العقل الأداتي الوضعي أساسا لها. فالعلم الوضعي بذلك كان نقمة على الإنسان بدل أن يكون نعمة عليه، وعلى هذا لا ينبغي كما يقول غارودي أن نغتر بالتقدم الذي قادنا إليه العلم الوضعي، فهو تقدم زائف باعتباره تقدم مادي تلازمه العديد من الآفات والأزمات على غرار الأزمة الايكولوجية التي تمثل واحدة من المخاطر التي تهدد مستقبل الإنسان والحضارة المعاصرة، دون أن ننسى الأزمة الأخلاقية التي تؤشر عليها النزعة العدمية التي انتهت إليها الحداثة الغربية، وخصوصا في مرحلتها المتأخرة (زمنيا وقيميا)، وهي الحداثة الفائقة أو المفرطة كما يسميها جيل ليبوفتسكي، أو الحداثة السائلة بحسب تعبير زيغمونت باومان، بحيث افتقدت القيم الغربية إلى معايير متفق عليها للخير والشر، والصواب والخطأ، والحسن والقبح.

إن مشكلة النموذج الغربي في النمو الذي أشرنا إليه قبلا، تكمن بحسب غارودي في الاهتمام بالوسائل دون اعتبار للغايات أو للقيم الإنسانية، فالمكيافيلية (الغاية تبرر الوسيلة) هي سمة هذا النموذج، وهو ما يظهر في الممارسة السياسية فضلا عن الممارسة الاقتصادية أو غيرها، وقد أفضى ذلك إلى ظهور ديانة جديدة في الغرب يطلق عليها غارودي "ديانة عبادة الوسائل"، في مقابل ديانة التوحيد، حيث اتجه الإنسان المعاصر نحو عبادة آلهة زائفة أو بالأحرى أصنام جديدة، وهو ما يسميه غارودي بالفيتشية أو عبادة الأشياء (fétichisme) ، وهي الديانة التي ستقود الغرب إلى الانتحار، حيث يقول في ذلك: "والسبب الأساس لهذا التخاذل الانتحاري أنه خلال القرون الخمسة المنصرمة لم تعد الحضارة الغربية إلحادية وحسب، بل أصبحت تتصف بالشرك، فالنمو، والجنس، والعنف، والمال، والقومية، غدت غايات بذاتها. وبتعبير آخر، أصبحت آلهة مزيفة لها"[1]. فقد أفضت هذه الفيتشية، كما يقول غارودي، إلى حياة اللامعنى، حيث الفوضى والصراع وإرادة القوة، والترف...الخ. وقد وصف جيل ليبوفتسكي هذه الحالة الحضارية التي انتهى إليها الغرب بـ"عصر الفراغ"، حيث يقول: "إن الفراغ هو الذي يحكم الآن"[2]، مدللا على ذلك بظاهرة الترف التي تميز الحضارة الغربية في مرحلة الحداثة والحداثة الفائقة (مابعد الحداثة)، وقد رأى في هذا الترف مؤشرا قويا على الأزمة الحضارية للغرب التي قد تنتهي به إلى الإفلاس، ومن ثمة، إلى الأفول، حيث يقول في ذلك: "إن الترف ـ ولأنه مرادف للتصنع [التكلف] والتجاوزات والغطرسة ـ فلا يمكنه إلا أن يسرع قلق الروح، وأن يبعدنا عن أفراح البساطة، والاستقلال والقوة الداخلية. بالإضافة إلى جعله الناس تعساء بواسطة سباق لا نهاية له لنيل الملذات الكاذبة، وبإضعافه الأجساد والأرواح، فإن الترف مسؤول أيضا عن فساد الأخلاق، وعن سقوط المدن"[3]. ومعلوم أن ابن خلدون قد

[1] نفسه، ص121.

[2] جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ. الفردانية المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة، تر. حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1،2018، ص12

[3] جيل ليبوفتسكي، إليت رو: الترف الخالد من عصر المقدس إلى زمن الماركات، تر. الشيماء مجدي، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2018. ص11

سبق هؤلاء بقرون إلى تأكيد دور الترف في انهيار الحضارة[1]، بما يؤكد أن مخاوف غارودي من انتحار الغرب هي مخاوف مؤسسة، وينبغي حملها على محمل الجد.

ومن المهم الإشارة هنا إلى الخلفية الماركسية في تفكير غارودي النقدي، فنموذج النمو المعني بالنقد هنا هو بدون شك النموذج الرأسمالي، فلطالما اعتبرت الماركسية الرأسمالية عدوها اللذوذ الذي تسبب في أزمة الإنسان والحضارة، بالنظر إلى الأسس التي تقوم عليها الرأسمالية وأهمها الحرية الفردية، غير أن ما يميز غارودي هو أنه لا ينظر إلى الرأسمالية بوصفها نظاما اقتصاديا فحسب، ولكنه يرى فيها نموذجا معرفيا له رؤية خاصة للإله وللكون وللإنسان والحياة، وهنا مكمن خطورته، ثمة ملاحظة أخرى وجب الإشارة إليها، وهي التطور الذي ميز تفكير غارودي، فقد غلب عليه التحليل المادي الماركسي حتى فترة الثمانينات من القرن الماضي، وهي الفترة التي تميزت باعتناقه للماركسية بشكل يكاد يكون دوغمائي، غير أن اعتناقه للإسلام منذ العام 1982، جعل مقارباته للظواهر تتغير نوعا ما أو بالأحرى تتوسع، حيث صار يعتمد على الرؤية الإنسانية التوحيدية كمرجعية معرفية في مقارباته، وهي رؤية مركبة يحضر فيها الإسلام الكوني المنفتح على الديانات السماوية والحكم الإنسانية من جهة، والنزعة الإنسانية التي تعود مرجعيتها الأولى إلى الفلسفة الماركسية.

ثانيا:التغيير الحضاري المنشود: طبيعته، ومعالمه

1- طبيعته

إن دراسة غارودي للحضارة الغربية لم تكن في نظرنا دراسة فلسفية تأملية تروم وضع نظرية أو مقاربة في فلسفة الحضارة تفسر لنا أسباب قيام الحضارات وأفولها، على عادة ما يفعل فلاسفة الحضارة، بل إن ما كان يرومه هو الوقوف على أسباب ومظاهر التأزم في الحضارة الغربية، ومن ثمة، محاولة تقديم حلول لمجاوزة هذه الأزمة، بعبارة أخرى، فهو لم يكن يهدف إلى البحث عن الحقيقة لذاتها كدأب أي تفكير فلسفي يروم الحقيقة المطلقة، وإنما كان يهدف إلى نقد النموذج الحضاري الغربي، ومن ثمة، البحث عن نموذج حضاري بديل، وهذا ما يؤكد أن فلسفة غارودي هي فلسفة فعل تروم التغيير وليس التأمل، كيف لا وهو الذي تشرب فلسفة ماركس الذي كان دائما يردد: "ليس المهم تفسير العالم، بل تغييره". ضمن هذا المنظور إذن تتنزل فلسفته غارودي في التغيير الحضاري، فهو يرى أن التغيير الحضاري بات مطلبا ملحا ومستعجلا من أجل إنقاذ كوكبنا من الانتحار في ظل الأزمة التي تتخبط فيها حضارتنا المعاصرة، حيث يقول في ذلك: "فالعالم المشروخ، العالم السائر على غير هدى، أي العالم ذو الإرادة الأكثر عبثية والأدعى للشفقة، لا يمكنه أن ينجو من التفسخ ومن الموت، بأية وصفة سحرية ذات مفعول فوري، سواء أكانت اقتصادية، أو سياسية، أو دينية. علما بأن الطفرة لا تحتمل التأجيل لأنها الوحيدة القادرة على إنقاذ القرن الواحد والعشرين من الانتحار الكوكبي، وعلى تهيئة الانبعاث والنشور"[2].

[1] ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت، ص 170.

[2] غارودي، الانقلاب الكبير، تر. سلمان حرفوش، دار كنعان، ط1، 2007، ص8.

ففي هذا النص يؤكد غارودي أن العالم في طريقه إلى التفسخ والموت (الانتحار)، وكأني به هنا يرد على ذلك السؤال الذي طرحه إدغار موران وجعله عنوانا لأحد مؤلفاته ألا وهو: هل نسير إلى الهاوية؟"، وهو سؤال فلسفي استشرافي خطير يخص مستقبل ومصير الحضارة المعاصرة، ولا شك أن سؤالا بهذه الخطورة والأهمية يؤكد فعلا خطورة الأزمة التي تتخبط فيها هذه الحضارة. فغارودي بهذا الجواب يؤكد أننا نسير فعلا إلى الهاوية، ولكنه، مع ذلك لم يترك الإنسانية تستسلم لهذا السقوط، فمن الممكن، حسبه، بل المطلوب إنقاذ العالم من هذا السقوط، ولكن ذلك يتطلب أكثر من برنامج اقتصادي أو قرار سياسي أو خطاب ديني، إنه "يتطلب طفرة، بمعنى، يتطلب تغيير نوعي جوهري يكون في مستوى هذه الأزمة وخطورتها، يقول: "مجتمعنا في سبيله إلى الانحلال. فلا غنى عن تحويل جوهري"[1].

إن مايعنيه غارودي بالتحويل الجوهري هنا هو ما عبرنا عنه بالتغيير الحضاري، كونه يستهدف تغييرا جوهريا في بنية النموذج الحضاري الغربي، وليس مجرد ترميم أو ترقيع جزئي وشكلي يخص جانبا أو بضعة جوانب من جوانب هذه الحضارة كالجانب الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي أو الثقافي أو غيره، كما يفعل الغرب عادة كلما تعرض لأزمة من الأزمات التي اعتاد عليها سواء في السياسة كأزمة الحرب الباردة والسباق نحو التسلح بين المعسكرين الشرقي والغربي، أو بعض الأزمات الاقتصادية كارتفاع سعر النفط، وأزمة البطالة وغيرها، يقول غارودي موضحا حقيقة هذا التغيير: "وأزمة بمثل هذه الضخامة تتطلب، كيما تحل، أكثر من ثورة. تتطلب تغييرا جذريا لا لنظام الملكيات وهياكل السلطة فحسب، بل أيضا لبنى الثقافة والمدرسة[التربية والتعليم]، الدين والإيمان، الحياة ومعناها. تغيير العالم وتغيير الحياة...والفرضية المستبعدة الوحيدة هي الاستقرار في الطريق الراهنة. وليس المطلوب إيجاد أجوبة جديدة لمشكلات قديمة. وإنما نحن مطالبون، إزاء المهام المستجدة التي تواجهنا، بتغيير طريقة طرح الأسئلة بالذات. ومطالبون في المقام الأول بأن نطرح الأسئلة الحقيقية انطلاقا من المشكلات التي تربط بيننا لا من الإيديولوجيات التي تفرق بيننا"[2].

إن غارودي يدعونا إذن، إلى أن نكون في مستوى هذه الأزمة الحضارية وأن نقدر جيدا حجمها، فنتصدى لها من خلال تغيير جذري، يتم بمقتضاه ليس فقط تقديم أجوبة جديدة للمشكلات القديمة، بل إعادة النظر في ما نطرحه من أسئلة، أي ما نعتبره عادة مشكلات أساسية، فلابد من طرح الأسئلة الحقيقية، وإذا شئنا استخدام عبارة طه عبد الرحمن، قلنا طرح "السؤال المسؤول"[3]، وهو السؤال الذي يفرض علينا تحمل مسؤوليته، بحيث يضعنا أمام المشكلات الحقيقية لا أمام المشكلات الزائفة، كما أنه يجعلنا نتحمل مسؤولية التفكير في الأجوبة دون الاكتفاء بالسؤال. ولا ينسى غارودي مطالبتنا في هذا الصدد بترك خلافاتنا الإيديولوجية جانبا، لأن المشكلات التي نجابهها واحدة، فالإنسانية اليوم أشبه بركاب سفينة تواجه الغرق، فالجميع هنا عليه أن يعمل على قدر طاقته على إنقاذ هذه السفينة، لأنها في حال غرقت ستغرق بكل من فيها دون تمييز بين جنسيات الركاب أو لغاتهم أو دياناتهم أو إيديولوجياتهم، فكذلك هو حال العولمة، لقد جعلت العالم قرية صغيرة، وهو ما أدى إلى وحدة

[1] غارودي، البديل، تر. جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط2، 1988، ص07.

[2] غارودي، البديل، مصدر سابق، ص08

[3] طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، بيروت والدار البيضاء، لمركز الثقافي العربي، ط1، 2002، ص14.

مشكلاته، فمشكلة الإرهاب التي تضرب دولة في الجنوب يظهر أثرها في الشمال، وإذا أصيب الاقتصاد الأمريكي بالتضخم، فإن آثار ذلك لا تتوقف عند حدود أمريكا فقط، فهل يستطيع أحد، والحال كذلك، أن يقول بأن مشكلة الإرهاب أو مشكلة انهيار الدولار لا تعنيني.

ضمن هذا المنظور الحضاري الذي يتسم بالمسؤولية الفكرية قدم غارودي مشروعه الفكري، فهو مشروع حضاري إنساني كوني أراده أن يكون بديلا للنموذج الحضاري الغربي الحالي، إنه مشروع "بناء مستقبل ذو وجه إنساني"، كما عبر عنه في العديد من مؤلفاته على غرار كتابه الهام:"كيف نصنع المستقبل؟"، الذي جاء كإجابة على السؤال الأساسي الذي طرحه في كتابه الآخر الذي وسمه بعنوان: "كيف صنعنا القرن العشرين؟"، فهذا الكتاب الأخير يشخص الداء أو الأزمة، وأما الكتاب الذي قبله فيصف العلاج أو الحل. وفي هذا السياق أيضا كتب كتابه "البديل"، الذي يكشف عنوانه عن مضمونه، حيث جاء فيه قوله: "أن نعاني من مصير أو أن نشيد تاريخا. إن هذا الكتاب مبني على هذا الاختيار. ليس هو ببرنامج، وإنما مشروع حضارة"[1]، فالكتاب بهذا المعنى لا يقدم برنامج عمل، أي وصفة سحرية استعجالية، كما سماها، على طريقة رجال السياسة والاقتصاد، بل أراد تقديم مشروع حضاري بديل، فكتاب "البديل"، كما وصفه صاحبه، يمثل "نداء وحافزا لكل من يحب المستقبل، ولكل من يجد معنى لحياته وفرحها في فعل المساهمة في الخلق. الخلق بالعمل الفني، بالإيمان الديني، بالحب، بالفكر، أو بالثورة"[2]. ويتوجه نداء غارودي بالخصوص إلى الشبيبة، فهو يعول عليها في تحقيق التغيير الحضاري المنشود (الطفرة)، مبررا ذلك بقوله: "لأن الشباب هو أن نكون قادرين على أن نتصور، وعلى أن نحيا حياة مختلفة جذري الاختلاف عن تلك التي نعيشها اليوم"[3]. إن المستقبل للشبيبة، ومن ثمة، فمسؤولية التغيير الحضاري تقع على عاتق هذه الشبيبة، إذا أرادت أن تحيا حياة مختلفة عن تلك التي قادتنا إليها الحضارة الغربية، حياة المخدرات والإجرام والانتحار والاغتراب والانحلال الأخلاقي والفراغ الروحي والبؤس وغيرها مما يسميه غارودي بـ "حياة اللامعنى"، يقول: "إن مهمتنا هي أن نجمع جميع الناس ذوي الإيمان –أيا كان إيمانهم –ضد العالم الحالي، عالم اللامعنى، وأن نخلق نويات [ج. نواة] لمقاومة اللامعنى، شاجبين ومقاتلين كل ماهو مناقض لوحدة العالم السمفونية، حيث يستطيع كل طفل وكل امرأة وكل رجل أن يطور تطويرا تاما جميع الثروات الإنسانية التي حملها في ذاته، لكي يحمل كل شعب وكل إيمان إسهامه إلى وحدة العالم المخصبة"[4].

2- معالم التغيير الحضاري المنشود

بعد أن تعرفنا على طبيعة التغيير الحضاري الذي يدعونا إليه غارودي، وتبين لنا أنه تغيير جذري يستهدف النموذج الحضاري الغربي في جوهره، من المهم أن نتعرف على معالم النموذج الحضاري البديل الذي يقترحه لإنقاذ الإنسان والحضارة من الانتحار. فماهي معالم هذا المشروع يا ترى؟

[1] غارودي، البديل، مصدر سابق، ص08

[2] نفسه، ص08.

[3] نفسه، ص08.

[4] غارودي، نحو حرب دينية؟ جدل العصر، تر. صياح الجهيم، الجزائر، بيروت، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، دار الفارابي، ط3، 2001، ص81.

في الواقع أن المشاريع الفكرية الداعية إلى التغيير الحضاري كثيرة كثرة نقاد الحضارة الغربية، سواء في الفكر الغربي أو في الفكر العربي والإسلامي، ولكن لكل مشروع خصوصياته بحسب اختلاف المشارب الفكرية والإيديولوجية لأصحابها، ومشروع غارودي الفكري يمثل أحد هذه المشاريع الكبيرة، ولعل ما يميز هذا المشروع هو كثرة الانعطافات، أن غارودي بدأ مسيرة حياته، وهي ذاتها مسيرته الفكرية[1]، مسيحيا ثم اعتنق الماركسية الأرثوذوكسية في شكلها الستاليني، قبل أن ينقلب عليها ليعتنق شكلا جديدا من الماركسية هو ما يمكن أن نسميه بالماركسية الإنسانية أو المؤنسنة، وأخيرا استقر على دين الإسلام، على أن هذه التحولات كما قلنا هي بمثابة انعطافات لا قطائع، ذلك أن اعتناقه للإسلام لا يعني انقلابه على الماركسية ولا على المسيحية بل حاول إيجاد ناظم معرفي يربط بين هذه الاتجاهات، وهذا الناظم هو ما اصطلحنا عليه سابقا بالرؤية التوحيدية الإنسانية، وضمن هذا الإطار الفكري يتنزل مشروعه الكبير حول حوار الحضارات، الذي رأى فيه المشروع البديل للحضارة الغربية، أو مشروع الأمل كما أطلق عليه في أحد كتبه[2]، فحوار الحضارات يعني الإخصاب المتبادل بين الحضارات، حيث أن كل حضارة لديها ما تعلمه للأخرى، بقدر ما تتعلم منها بدورها، فنحن إذن إزاء سمفونية حضارية لا مجال فيها لهيمنة نموذج حضاري على آخر، كما هو حاصل اليوم مع العولمة حيث يهيمن النموذج الحضاري الغربي على بقية الثقافات والحضارات، بالرغم من أن الحضارة الغربية لا تمثل إلا حضارة من بين حضارات كثيرة، بل هي كما يقول غارودي، تمثل عرضا طارئا قياسا إلى حضارات أخرى أكثر منها عراقة ورسوخا في التاريخ[3].

إن ما يميز هذا المشروع الفكري الحضاري لغارودي هو أنه مشروع إنساني يهدف إلى تنمية الإنسان تنمية شاملة ومتكاملة، دون اختزال لأبعاده، ودون المفاضلة بينها على نحو ما نجده في النموذج الحضاري الغربي حيث يتم التركيز على البعد المادي مع إهمال الأبعاد الأخرى، وبخلاف ذلك، فإن غارودي يرى أن كل نمو لا يؤدي إلى تنمية الإنسان تنمية شاملة تأخذ بعين الاعتبار الرؤية التركيبية للإنسان، بما من شأنه أن يحقق التكامل والتوازن بين جوانب شخصيته وأبعادها المادية والمعنوية، لا يعد تنمية حقيقية، ولا تقدما حقيقيا، وفي هذا النموذج من النمو يكون الإنسان غاية لا وسيلة، بما من شأنه أن يحرر هذا الإنسان من الاستيلاب والتشيؤ، ويحفظ له كرامته ومكانته في الوجود، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) [الإسراء:70]، وذلك بوصف الإنسان خليفة الله في الأرض، كما جاء في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) [البقرة:30]. فاستنادا لهذا المنظور الإنساني التوحيدي للتنمية، يرفض غارودي مقولة تقدم الغرب التي يتمسك بها دعاة الحداثة والتنوير من أنصار النموذج الحضاري الغربي، فما يراه هؤلاء تقدما يعتبره غارودي انحطاطا وإفلاسا وأزمة طالما أنه لم يؤد إلى تحقيق إنسانية الإنسان وسعادته بقدر ما أدى إلى انحطاطه وتعاسته وشقائه. فالإنسان الغربي إنسان مأزوم تبعا لتأزم حضارته، بالنظر إلى العلاقة الجدلية بين الإنسان والحضارة.

[1] يعد غارودي من بين المفكرين الذين تعد سيرة حياتهم ترجمة لفكرهم، بوصفه مفكرا مناضلا عمل على تجسيد الأفكار التي آمن بها.

[2] _ Garaudy, Le projet espérance, éd. ROBERT LAFFONT, PARIS, 1976, p205

[3] غارودي، حوار الحضارات، تر. عادل العوا، بيروت ـ باريس، منشورات عويدات، د.ط، 1986، ص37.

وغارودي بهذا المنظور الحضاري التشاؤمي، إنما يؤكد ما ذهب إليه الكثير من المفكرين منهم على سبيل المثال لا الحصر تشارلز فرنكل في كتابه "أزمة الإنسان الحديث" وأريك فروم في كتابه "الإنسان بين الجوهر والمظهر"، و"هربرت ماركيوز" في كتابه"الإنسان ذو البعد الواحد"، وكولن ولسون في كتابه "سقوط الحضارة"، وريني غينون في كتابه "أزمة العالم الحديث"، وإدغار موران في العديد من كتبه منها مثلا "هل نسير إلى الهاوية" وكذا "إلى أين يسير العالم؟"، وغير هؤلاء من المفكرين كثير، سواء في الفكر الغربي أو فالفكر الإسلامي.

هكذا إذن، وعلى ضوء هذه الرؤية النقدية للحضارة الغربية، يقدم غارودي مشروعه الفكري البديل الذي كان منطلقه سؤال رئيس هو: كيف نبني مستقبلا ذو وجه إنساني؟، وهو "السؤال المسؤول" الذي ظل يبحث له عن جواب خلال مسيرته الفكرية الحافلة بالنضال السياسي والنشاط الفكري، ما جعله يتقلب بين المذاهب والعقائد الدينية والفلسفية، يأخذ من هذا ومن ذاك بما ينسجم مع رؤيته الإنسانية التوحيدية يقول موضحا معالم هذا المشروع: "الطفرة الجذرية الكبرى في التطور الإنساني لا يمكن أن تتحقق بتدابير سياسية واقتصادية لا غير، وهي التدابير الضرورية لذلك التغيير، بل يجب أن تنهض على تحول حقيقي للإنسان بالذات، باختياره للغايات الأخيرة التي سوف تتيح له بحق وحقيق أن يصبح إنسانيا. وفي هذا ما يفترض قيام قطيعة مع الأنماط الموروثة للتشكل، التي لم تتمكن حتى هذه اللحظة من تحقيق الإنسانية الكاملة للإنسان، أعني الوحدة الإنسانية الحقة التي تتيح للجميع في العالم التفتح الكامل لإمكانيات كل فرد"[1].

فمن الواضح هنا أن التغيير الحضاري الذي يناضل غارودي فكريا وسياسيا من أجل تحقيقه هو تغيير يستهدف استعادة إنسانية الإنسان المهدورة، أو "الإنسان الإنساني"، كما يسميه، بعد أن أفرغ النموذج الحضاري الغربي الإنسان من إنسانيته فعمل على امتهانه واستلابه واستغلاله، وعامله معاملة المادة، فكان لا بد من طفرة، وهذا الطفرة لن تتحقق في نظر غارودي إلا بثورة ثقافية تستهدف، تستهدف ثلاثة تغييرات جوهرية، هي[2]:

- تغيير علاقة الإنسان بالله (الإيمان).
- ثانيا، تغيير علاقة الإنسان بالطبيعة.
-ثالثا، تغيير علاقته بغيره من الناس.

ولكي تتحقق هذه الثورة الثقافية، لابد في نظر غارودي، من انقلاب جذري يمس المستويات التالية[3]:

1. في التربية، التي لا يجوز أن تكون بعد اليوم جاهلة لرسالتها الجوهرية: البحث عن الغاية الأخيرة وعن معنى الحياة.
2. في مفاهيمنا حول "الفنون" كي تتوقف عن الإسهام في تفسخ الإنسان منذ شبابه، وكي تستعيد على العكس (لا رجوعا إليها وإنما استمرارا بها) وظيفتها كبشارة تحمل وعد المستقبل قيد التبرعم.

[1] غارودي، الانقلاب الكبير، مصدر سابق، ص7.
[2] غارودي، الانقلاب الكبير، مصدر سابق، ص08
[3] المصدر نفسه، ص08

3. في الحب الذي لا يستعيد بقدسية معناه الإنساني، تصديا لجميع الانقلابات وأبواب الفساد الحالية لدى شبيبة مسترسلة مع ممارسة للجنس دون حب.
4. في الإيمان أخيرا، والذي يجب أن نجرب تخطيط مراحله عبر التجربة الرائعة في "فاتيكان 2" وعبر لاهوتيات التحرر التي تستعيد مع الإيمان نجمها القطبي، بما هو أبعد مدى من التنوع، المتعارك أحيانا، في نطاق مجموع الديانات.

ثالثا: دور الإسلام في التغيير الحضاري المنشود

أشرنا فيما سبق إلى أن مسيرة غارودي الفكرية عرفت عدة انعطافات، فقد كان مسيحيا، ثم ماركسيا، قبل أن يعتنق الإسلام، دون أن يؤدي به ذلك إلى التخلي عن المسيحية ولا عن الماركسية حيث قال : "أتيت إلى الإسلام حاملا التوراة بيد ورأس المال لماركس باليد الأخرى، وأنا مصمم بألا أتخلى عن واحد منهما"[1]. وفي ضوء هذه الانعطافة نحو الإسلام وما كان لها من أثر في فكره، نتساءل: ترى أي دور للإسلام في هذا التغيير الحضاري المنشود؟ وهل يملك الإسلام نموذجا حضاريا يؤهله لأن يكون بديلا للنموذج الحضاري الغربي، ومن ثمة، إنقاذ الحضارة المعاصرة من الانحلال والتفسخ؟

إن المتتبع لمشروع غارودي الفكري الحضاري منذ خيوطه الأولى إلى أن اكتملت لبناته وتعالقت خيوطه، يلحظ كيف أن الرجل عاش حياة من الحيرة والقلق الفكري والروحي، فقد ظل يبحث عن الحقيقة التي يطمئن إليها العقل والنفس، وهذا ما جعل حياته كما ذكرنا تمر بعدة انعطافات قبل أن يستقر على دين الإسلام الذي هو بمثابة اكتمال مشروع حياته، إذ مثل له كما قال "النقطة التي كان يبحث عنها طيلة حياته، وهي النقطة التي وهي النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل"[2]. إن الإسلام عند غارودي ليس مجرد عقيدة يؤمن بها الإنسان، تحدد له علاقته بربه، كما هو الحال بالنسبة للعقائد الأخرى وخصوصا المسيحية التي كان قد تعرف عليها واعتنقها في سن مبكرة، بل إن الإسلام بشموليته وبأبعاده الثورية يمثل مشروعا حضاريا متكاملا، بما يحمله من رؤية إنسانية توحيدية، وهذا ما جعل غارودي يرشحه لكي يكون بديلا للنموذج الحضاري الغربي، أو بالأحرى، المنقذ للحضارة، وهو ما عبر عنه في كتابه "الإسلام دين المستقبل". ولكن قبل هذا، أي، قبل أن يعتنق الإسلام حتى، كان قد كتب كتابه "وعود الإسلام"، حيث أبان فيه عن أبعاد الإسلام وخصائصه التي تمثل عناصر القوة فيه، والتي تجعل منه مشروع الأمل بالنسبة للغرب وللإنسانية كافة، ويخص بالذكر بعدي التعالي (التوحيد) والجماعة (الأمة)[3]، مع الإشارة إلى أن الإسلام الذي يقصده غارودي إنما هو الإسلام الكوني، الذي يمثل الوحدة المتعالية للأديان، تلك التي تجد تجلياتها في مختلف الأديان السماوية طبقا لقوله تعالى: "مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ " [الحج:78]. وقوله عز وجل: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ.."(الشورى:13).

[1] غارودي، جولتي في العصر متوحدا، تر. ذوقان قرقوط، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1992، ص293.

[2] رامي كلاوي، روجيه غارودي، من الإلحاد إلى الإيمان، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر، د.ط، 1990، ص193.

[3] _ Garaudy Roger, Promesses de l'islam, éd. Seuil, Paris, 1981, p (22- 23)

يقول غارودي: "لقد أفلس الغرب بعد خمسة قرون من الهيمنة المطلقة، وهاهو يقودنا إلى الهلاك. وسيستعيد الإسلام حظوظه في الانتشار العالمي كسالف عهده أيام ازدهاره، يوم يدرك الغربيون في غالبيتهم هذا الفشل التاريخي الذي مني به نموذجهم في النمو وفي الثقافة على غرار ما يفعله بعضهم الآن. فعليه أن يتأهب إذن ليتقلد هذه الخلافة التاريخية أولا، بتوجيه نقد لاذع وبناء لغايات علوم الطبيعة في الغرب ولمناهج العلوم المدعوة بالعلوم الإنسانية ،ليتعلم كيف ينظر إلى العالم وإلى تاريخه ومستقبله نظرة إسلامية، وبإعطاء صورة عن إسلام حي شبيه بالإسلام في فجر أيامه، الذي انطلق لفتح العالم فتحا روحيا، فالعودة إلى هذه الحركية وإلى روح المبادرة هذه إنما تعني العودة إلى روح الاجتهاد كما تصوره الرسول (صلى الله عليه وسلم) والمتمثل في الوحدة التي لا تتجزأ بين المبادئ الخالدة للرسالة وتطبيقها الحي لبناء مستقبل عالم يجدد الله خلقه على الدوام"[1].

ففي هذا النص، إذن، يبدو إيمان غارودي القوي بأن الإسلام هو دين المستقبل بعد أن أثبت النموذج الغربي في النمو والثقافة، سواء في صورته الرأسمالية أو في صورته الاشتراكية، إفلاسه، فكأن الظروف التاريخية التي يمر بها العالم اليوم، إنما تهيئ الأمور لعودة الإسلام من جديد، الإسلام الحي كما يسميه، وهو الإسلام الذي قاد الأمة الإسلامية إلى المجد والحضارة، ولكن ليس الإسلام في نسخته المشوهة كما يمثلها المسلمون في مرحلة انحطاطهم، وهي مرحلة مابعد الموحدين، التي تمثل مرحلة مابعد الحضارة، بحسب تعبير مالك بن نبي في فلسفته للحضارة الإسلامية.

إن غارودي يراهن، إذن، على الإسلام من أجل إنقاذ مستقبل الحضارة والإنسان، فالمشروع إذن موجود، ولكنه ينتظر من يفعله ويطبقه، حيث يقول في ذلك: "فإن نحن انقدنا لتيارات الحضارة الغربية هذه قمنا باغتيال أحفادنا، لأننا لن نكون قد أنجزنا مهمتنا التي أوكلها الله إلينا، ألا وهي أن نكون خلائف في الأرض. ترى هل سنكون قادرين على إيجاد بديل إسلامي لهذا السباق المحموم نحو الموت؟ وهل سيكون بإمكاننا . في هذه الظروف التاريخية . أن نتبع الطريق الصحيح، أي "الصراط المستقيم" الذي بينه لنا القرآن الكريم؟ إن مستقبل الإنسانية . بل مجرد بقائها . سيتوقف على ذلك"[2].

ومن الواضح هنا، أن غارودي يؤكد على الرسالة الإنسانية الكونية للإسلام، فالإسلام لم يأت لأمة بعينها، بل جاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين، وبالتالي، فالإسلام هو الديانة المؤهلة بفضل هذه الروح التوحيدية الوحدوية لإنقاذ الحضارة وإنقاذ الإنسانية، وهذا النداء من غارودي يذكرنا بموقف مالك بن نبي الذي عبر عنه في رسالته الموسومة بـ "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين"، حيث يستحضر بعض الآيات القرآنية للتدليل على هذه الرسالة، ومنها قوله تعالى: "لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا" (البقرة: 143)[3].

[1] غارودي، مستقبل الاجتهاد، ضمن محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر بقسنطينة 1983، ج3، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، الجزائر، ص282 .

[2] غارودي، البديل هو الإسلام، مصدر سابق، ص 123.

[3] يتقاطع غارودي كثيرا مع مالك بن نبي في تصورهما لدور الإسلام في التغيير الحضاري، ينظر: مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ط2، 2007، ص08.

ولكن السؤال الذي ينبغي طرحه ههنا هو، إذا كان غارودي متفائلا بدور الإسلام الحضاري إلى هذا الحد، فعلى أي أساس يبني تفاؤله هذا؟ أليس من المفارقة أن يعول غارودي على الإسلام كي يلعب دور المنقذ في التغيير الحضاري المنشود، في الوقت الذي نرى المسلمون اليوم يتذيلون سلم الحضارة، بل ويعيشون عالة على الحضارة الغربية التي يصفها بالتأزم والإفلاس كونهم يستهلكون ولا يبدعون؟ هل يعني هذا أن غارودي ينخرط في خطاب ما سمي بالإسلام السياسي الذي يرفع شعار الإسلام هو الحل، وهو شعار إيديولوجي أكثر منه فلسفي، في ظل المعطيات الموجودة في الواقع؟

إن الإسلام، في نظر غارودي، هو المؤهل لأن يكون بديلا للحضارة الغربية المعاصرة، فهو دين المستقبل، كما وصفه، وقد جاءت هذه الأطروحة نتيجة لتحليل تاريخي عقلاني نقدي وليس نتيجة لأفكار إيديولوجية طوباوية كما هو الحال بالنسبة للكثير من الخطابات الإسلامية التي ترفع شعار الإسلام هو البديل أو الإسلام هو الحل. ذلك أن غارودي يرى بأن العوامل التي صنعت مجد الإسلام وعظمته في الماضي، لا تزال قائمة فيه إلى اليوم، فالشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، ولا ينبغي حسبه قياس حقيقة الإسلام على واقع المسلمين، كما يفعل المشككون في الإسلام. صحيح أن المسلمين اليوم يقبعون في أسفل السلم الحضاري، ولكن الإسلام بريء من هذا التخلف ولا يتحمل مسؤوليته، ذلك أن تخلفهم يرجع إلى عوامل أخرى لا علاقة لها بالإسلام وشريعته، بل أكثر من ذلك، فإن هذا الانحطاط يرجع في نظره إلى ابتعادهم عن روح الإسلام الصحيح، وإلى سوء فهمهم للشريعة وعدم التزامهم بها، وغير ذلك من العوامل التي عددها غارودي ضمن معوقات النهوض الحضاري للإسلام، ولأن هذا موضوع آخر لا يعنينا هنا، سوف لن نتوقف عنده، لأن ما يعنينا هو دور الإسلام في التغيير الحضاري المنشود، فما هي مقومات الإسلام التي تؤهله لهذا التغيير في نظر غارودي يا ترى؟

1-مقومات التغيير الحضاري في الإسلام

إن غارودي يبني تفاؤله بمستقبل الإسلام استنادا إلى خصائص الشريعة الإسلامية، هذه الشريعة التي يراها صالحة لكل زمان ومكان، فهي لم ولن تفقد شيئا من بريقها وقيمتها، وبالتالي، نحن مطالبون بالعودة إلى الشريعة شريطة أن نجتهد في فهم الشريعة بما يتناسب مع ظروف عصرنا، ولا ينبغي لنا "أن نقرأ القرآن بعيون الموتى"، فإن هذا أحد عوامل التشويه والجمود التي أصابت الإسلام، يقول: "السبب أن هذه الشريعة كانت موضع تشويه، متوقفة في نموها الحي، منذ القرون الأولى من تاريخها. والسبب أن القرآن يقرأ بعيون الموتى"[1]. يريد القول، أن التقليد هو آفة العقل الإسلامي، فالسلف قرأوا القرآن وطبقوا أحكامه انطلاقا من مشكلات بيئتهم وظروف عصرهم، وبالتالي، نحن اليوم لسنا مطالبون بتقليد واجترار فهمهم للنص، لأن لدينا مشكلاتنا الخاصة وظروف عصرنا الخاصة، التي تحتم علينا الاجتهاد وتجديد فكرنا الديني، ذلك هو الإسلام الحي كما يسميه، أي الإسلام الذي يستجيب للتحديات الحضارية الراهنة، فلم يواجه السلف مثلا مشكلة المخدرات ولا مشكلة السلاح النووي ولا مشكلات البيئة كالتلوث والاحتباس الحراري، ولا مشكلات البيوايثيقا، وغيرها من المشكلات التي أفرزتها الحضارة المعاصرة، وهذا يقتضي من المسلم المعاصر أن يجتهد في إيجاد حلول لهذه المشكلات والتحديات الطارئة، وذلك يكون بالعودة إلى النص

[1] غارودي، الإسلام، تر. وجيه أسعد، الجزائر - بيروت، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، دار الفارابي، ط2، 2001، ص110.

القرآني، دون الانغلاق عليه، فنحن مطالبون بالانفتاح على الحضارة الغربية، والاستفادة من منجزاتها، ولكن في إطار المرجعية الإسلامية، أي، في إطار الرؤية التوحيدية الإنسانية، وهذا يقتضي التحلي برؤية نقدية تجعلنا نميز بين ما ينسجم مع الإسلام وما يتعارض معه، فلا ينبغي أن نرفض الحضارة الغربية ولا أن نقبلها جملة وتفصيلا، وفي ذلك يقول: "من هذا المنطلق وحده، منطلق الروح الشمولية للقرآن يمكن للنموذج الإسلامي في التطور الإنساني أن يبرز، واضعا . في المكان الصحيح . اقتصادا متطورا، منسجما مع الحاجات الإنسانية الحقيقية من جهة، ومع مشيئة الله من الجهة الأخرى. ونؤكد أن هذا النموذج لابد له أن يقوم، وهو بمقدورنا إذا بدلنا غاية جهدنا دون أن نحيد عن المبادئ الخالدة للقرآن، وعن حقائق عصرنا، وحتى عن تلك التقنيات الاقتصادية التي يحتمل أن تكون صالحة، وتتضمنها النظريات الاقتصادية لهؤلاء الذين يحاربوننا، سواء أكانوا اقتصاديين كلاسيكيين أم كانوا اقتصاديين ماركسيين. وهناك كذلك، يتم إعداد تركيب يؤلف وحدة متكاملة، كل جزء من أجزاء الحقيقة فيه قد جرى انتقاؤه بعد الدراسة والنقد"[1].

إن غارودي الذي يتحدث عن وعود الإسلام، معتبرا الإسلام هو المؤهل لكي يكون بديلا للحضارة الغربية، إنما يتحدث بناء على دراسته المعمقة للإسلام، وقبل ذلك دراسته للحضارة الغربية، وهو ما قاده إلى الوقوف على الاختلاف الجوهري بين النموذج الإسلامي في التنمية والنموذج الغربي في النمو، فالنموذج الإسلامي في التنمية يقوم في نظره على مبدأ أساسي وهو: الملك لله، والسلطة (الحكم) لله، والعلم لله. فكون الملك لله، يجعل أصحاب المال والثروة ليس لهم الحق في تبديد هذه الثروة والتصرف فيها على مقتضى أهوائهم ونزواتهم، إنهم فيما يرى غارودي "ليسوا سوى الوكلاء المسؤولين عنها ولا يمكنهم توظيفها في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي سويسرا، أو في الجنات المالية، ولا تبديدها في كازينوهات العالم كلها، ولا البناء فيها، لاستعمالهم الشخصي... وعلى العكس، تنزع كل الأحكام الاقتصادية في القرآن الكريم، سواء أكانت أحكام الربا، أي المال المكتسب دون عمل، أم أحكام الزكاة، أي الاقتطاع الديني للثروة، إلى منع تراكم الثروة في قطب من المجتمع والتعاسة في القطب الآخر"[2]. بهذا التصور الإسلامي للملكية يتحقق البعد الإنساني للتنمية، إنه يحول دون الفساد و الاستغلال والتفاوت الاجتماعي. وأما بخصوص المبدأ الثاني الذي ينص على أن السلطة لله وحده، فإن هذا كما يقول غارودي يفضي إلى رفض كل أنظمة الاستبداد والتسلط، فلا يحق لأحد احتكار السلطة أو استغلالها في الفساد. وأما القول بأن "الله وحده العليم" كما تقول الشريعة، فإن هذا المبدأ سيفضي إلى نهاية "كل الدوغمائيات، وكل الإدعاءات بحيازة الحقيقة المطلقة حين أغلق باب الاجتهاد، وبتقليص حق العلماء المستعبدين في التعبير عن حكم القانون الإلهي والعقيدة"[3]. هكذا إذن تكون الشريعة الإسلامية قد سدت باب الذرائع أمام الفساد والاستبداد والأصولية والاستعباد وهي الأمراض التي تفشت في المجتمعات المعاصرة وباتت تهدد مستقبل الحضارة. كما أنها وضعت الأسس والمبادئ لتنمية إنسانية المتوازنة، وذلك في إطار الرؤية التوحيدية الإنسانية، وهو ما يؤسس لنموذج إسلامي أصيل في التنمية يختلف اختلافا جوهريا عن النموذج الغربي الذي مر معنا، والذي أوصل الغرب إلى هذه

[1] غارودي، البديل هو الإسلام، مصدر سابق، ص 136.
[2] غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص 132
[3] المصدر نفسه، ص133

الأزمة، ذلك أن كلا منهما يقوم على نموذج معرفي مختلف، وهو ما يوضحه غارودي في قوله: "فإن جوهر مفهوم الإسلام للتطور الإنساني مبين في القرآن، بقوله تعالى: "سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى"[الأعلى: 1 .3]. والإنسان، في مفهوم الإسلام، "خليفة" في الأرض. فمم إذا تتألف مهمته، إن لم تكن تسخير أفكاره وجهوده كلها للإسهام في تحقيق مشيئة الله؟ ! وبتعبير آخر، أن يحقق الإنسان على الأرض كل الظروف التقنية والاقتصادية والثقافية، التي تضع تحت تصرف كل طفل وكل امرأة وكل رجل الوسيلة التي تنمي كل الإمكانات التي منحها الله كلا منهم."[1].

ومن هنا تتضح قيمة المنظور الإسلامي للتنمية، فهو منظور إنساني متوازن، وهذا ما يؤهله، بحسب غارودي، لأن يكون مشروع الأمل، على اعتبار أن النموذج الحضاري الغربي قد أضاع الجوهر الإنساني للتنمية. وانطلاقا من هذا المنظور الإسلامي الكوني، فإن غارودي لا يفوته أن يذكر المسلم بأن يناضل مع الآخرين ممن يتفقون معه في رفض ديانة وحدانية السوق وأشكال اللامعنى، حيث يقول في هذا الصدد: "إن المطلوب من كل مسلم اليوم هو النضال مع كل المؤمنين الذين يعتقدون مثلنا أن للعالم معنى، وأن العالم واحد: ضد كل صور الاستعمار، وكل وحدانيات السوق التي تقسم العالم إلى قسمين: جنوب وشمال، بل ويقسمون الشمال نفسه إلى "من يملكون ومن لا يملكون"، وضد هيمنة الولايات المتحدة، وأتباعها الأوروبيين، إن الأمر يتعلق بإعادة وحدة حقيقية للعالم، يناضل فيه المسلمون والمسيحيون والبوذيون، لكي يعطوا كل إنسان مهما يكن لونه، وأصله، ودينه، كل الوسائل التي تساعده على تفتيح كل الإمكانيات التي يحملها في داخله"[2].

هذا هو رهان التغيير الحضاري المطلوب الذي يعول عليه غارودي في سبيل بناء مستقبل ذو وجه إنساني. وأما بالنسبة لآليات هذا التغيير، فإن غارودي يرى أن ذلك لا يتحقق بالعنف، بل ينبغي أن نسلك طرقا أخرى مثل استخدام سلاح المقاطعة للمنتجات والسلع الغربية، وخاصة تلك السلع التي تعد من الكماليات بالنسبة إلينا، ومع ذلك فهي تذر على الغرب أرباحا طائلة، كالأفلام السينمائية والمشروبات الغازية، بما يدل على أننا نساعد على تقوية الاقتصاد الغربي على حسابنا، كما يدعو غارودي إلى استخدام سلاح آخر وهو سلاح الامتناع عن دفع الضرائب لحكومات المرتزقة التي تصرف هذه الأموال في شراء الأسلحة التي يقتل بها في الغالب المستضعفون والمعذبون في الأرض. وبالإضافة إلى ذلك، ينصح غارودي برفض كل حاكم ظالم لا يخدم مصالح الشعب، يقول مؤكدا ذلك: "ونحن لن ننتصر بالعنف، ولكن بالخنق الاقتصادي لهذا الجبار ذي الأرجل المصنوعة من الطين. وسلاحنا الأول، هو المقاطعة: ففي كل مرة نرفض فيها شحنة من الكوكاكولا، أو نقاطع السينما التي تعرض فيها الحياة البربرية في الأفلام الأمريكية، وفي كل مرة نرفض فيها دفع الضريبة لحكومات "المرتزقة"، التي تستخدم أموالنا لشراء أسلحة لن توجه إلا لصدور إخوتنا، وفي كل مرة نرفض فيها حاكما ظالما، في الداخل أو الخارج، نكون قد بدأنا معركة الله، من أجل وحدة البشر وعظمتهم"[3].

[1] غارودي، البديل هو الإسلام، مصدر سابق، ص 129.
[2] غارودي، الإسلام، مصدر سابق، ص 13.
[3] المصدر نفسه، ص 15.

وكما هو واضح من هذا النص، فإن غارودي يقول بالتغيير السلمي، وهو مبدأ إسلامي "أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن". فالثورة الحقيقية عنده ينبغي أن تكون ثورة ثقافية على النحو الذي بينا آنفا. وقد أثبت الواقع أهمية هذا المنهج في التغيير كما أكدت ذلك تجربة غاندي في الهند، ذلك أن استخدام العنف غالبا ما يكون في صالح الحكام المستبدين والرأسماليين الفاسدين، إذ يستغلون الحرب في المتاجرة بالأسلحة، كما يستغلون نقص المواد الاستهلاكية في رفع الأسعار، وفي الأخير يستفيدون من إعادة الإعمار، وأما الطبقات الفقيرة والمسحوقة فلن تزيدهم الثورة والعنف المسلح إلا سوءا، وبذلك يضيع القصد من التغيير الحضاري المنشود وهو ازدهار الحضارة وكمال الإنسان.

خاتمة

ما نخلص إليه في ختام هذا المقال، هو أن فلسفة غارودي فلسفة فعل، وهذا ما يفسر لنا دعوته إلى التغيير سائرا بذلك على خطى ماركس، الذي يمثل أحد المرجعيات الأساسية لفلسفة غارودي في الفعل[1]، إلا أن التغيير الذي يدعو إليه غارودي أشمل من ذلك الذي دعا إليه ماركس، إنه تغيير حضاري، وأما صورة هذا التغيير فتتمثل في الانقلاب على النموذج الحضاري الغربي المهيمن على العالم، الذي يصفه بالتأزم والإفلاس، فهذا النموذج إذا ما استمر في هذه الهيمنة سيقود الحضارة المعاصرة إلى الهاوية، أو بتعبير غارودي، إلى "الانتحار". وهو ما يجعل التغيير الحضاري مسألة حتمية واستعجالية لإنقاذ حضارتنا وكوكبنا.

وضمن هذا المنظور يقترح غارودي مشروعا فكريا حضاريا يراه بديلا لهذا النموذج المفلس، كونه يقوم على رؤية توحيدية إنسانية، ويعول غارودي كثيرا على الإسلام في تحقيق هذا التغيير الحضاري المنشود، بالنظر لما يحمله من مقومات، خصوصا على مستوى الرؤية المعرفية، تؤهله لأن يكون دين المستقبل، ورغم أهمية هذا المشروع، فإن التفكير بمنطق واقعي وبمنطق عقلاني نقدي، يجعلنا نطرح عدة أسئلة، منها: هل فعلا بإمكان الإسلام في وضعه الحضاري الحالي أن يكون بديلا للنموذج الحضاري الغربي؟ على اعتبار أن المسلمين اليوم يقبعون في ذيل الحضارة. وإننا بهذا نؤكد ما قاله بن نبي، وهو أن صحة الفكرة لا تعني بالضرورة صلاحيتها، فحتى لو سلمنا بصحة الفكرة الإسلامية، فمن يقوم بتطبيق هذه الفكرة؟ وهل بالإمكان تطبيقها في ظل المعيقات الموجودة اليوم وعلى رأسها قوة النموذج الحضاري الغربي وهيمنته المطلقة على العالم في مقابل تخلف المسلمين وضعفهم؟ ألا تبدو دعوة غارودي، في ظل هذه المعطيات، دعوة طوباوية؟ أليست كثير من الدول الإسلامية اليوم هي حليفة للولايات المتحدة الأمريكية التي يصفها غارودي بأنها طليعة الانحطاط على اعتبار أنها أقوى دولة رأسمالية، أي، أقوى دولة تحقق فيها النموذج الحضاري الغربي الذي يدعونا غارودي للانقلاب عليه؟ أليست النخبة الإسلامية في معظمها تناصر الحداثة الغربية وتدعو إليها إذ ترى في النموذج الحضاري الغربي الذي هو ثمرة هذه الحداثة نموذجا للتقدم والتطور؟ فكيف والحال كذلك يستطيع غارودي أن يقنع غير المسلمين بأهمية وقيمة البديل الإسلامي إذا كان الكثير من أهل الإسلام أنفسهم غير مقتنعين بهذا البديل؟ وأما إذا تركنا الإسلام جانبا، فإن الحق يبدو مع غارودي فيما يخص قوله بحتمية التغيير الحضاري، فالكثير من فلاسفة

[1] حول تأثر غارودي بفلسفة الفعل عند ماركس، ينظر: الشريف طاوطاو، سؤال الفعل في فلسفة غارودي، ضمن كتاب: أبحاث ودراسات في فلسفة الفعل، كتاب جماعي، تنسيق وتصدير: الشريف طاوطاو، دار الأيام، الأردن، ط1، 2018، ص195.

الحضارة يؤكدون أن الحضارة الإنسانية المعاصرة تسير نحو الهاوية في ظل هيمنة النموذج الحضاري الغربي، فأن يشهد هؤلاء الفلاسفة بهذه الشهادة وهم الذين عاشوا في فضاء الحضارة الغربية وعرفوها من الداخل وعانوا من أزماتها، فإن هذا يعطي مصداقية لمشروع غارودي وفلسفته في التغيير الحضاري، ومن هنا فإننا نهيب بالنخب الثقافية والسياسية في كل أنحاء العالم أن تأخذ دعوته هذه بمأخذ الجد قبل فوات الأوان، فيا حكماء وأحرار العالم اتحدوا.

المصادر والمراجع

1. ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.
2. إدغار موران، هل نسير إلى الهاوية؟، تر. عبد الرحيم حزل، الدار البيضاء (المغرب)، إفريقيا الشرق، د.ط، 2012.
3. جيل ليبوفتسكي، إليت رو: الترف الخالد من عصر المقدس إلى زمن الماركات، تر. الشيماء مجدي، بيروت، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط1، 2018.
4. جيل ليبوفتسكي، عصر الفراغ. الفردانية المعاصرة وتحولات مابعد الحداثة، تر. حافظ إدوخراز، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط2018،1.
5. الشريف طوطاو وآخرون، أبحاث ودراسات في فلسفة الفعل (كتاب جماعي)، الأردن، دار الأيام، ط1، 2018.
6. طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، بيروت والدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2002.
7. غارودي، الانقلاب الكبير، تر. سلمان حرفوش، دار كنعان، ط1، 2007.
8. غارودي، الإسلام، تر. وجيه أسعد، الجزائر ـ بيروت، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، دار الفارابي، ط2، 2001.
9. غارودي، البديل هو الإسلام، مؤتمر القمة الإسلامي الخامس، حول: الإسلام والمستقبل، الكويت، 1987.
10. غارودي، البديل، تر. جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت، ط2، 1988.
11. غارودي، جولتي في العصر متوحدا، تر. ذوقان قرقوط، دار الأنصار للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1992.
12. غارودي، حوار الحضارات، تر. عادل العوا، بيروت ـ باريس، منشورات عويدات، د.ط، 1986.
13. غارودي، مستقبل الاجتهاد، ضمن محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر بقسنطينة 1983، ج3، مؤسسة العصر للمنشورات الإسلامية، الجزائر، ص282 .
14. غارودي، نحو حرب دينية؟ جدل العصر، تر. صياح الجهيم، الجزائر، بيروت، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، دار الفارابي، ط3، 2001.

15. كلاوي رامي، روجيه غارودي، من الإلحاد إلى الإيمان، دمشق، دار قتيبة للطباعة والنشر، د.ط، 1990، ص193.

16. مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ط2، 2007.

17. René Guénon, La crise du monde moderne, éd. Gallimard,1946. renouvelé en 1973

18. Roger Garaudy, Le projet espérance, éd. Robert Laffont, Paris, 1976.

19. Roger Garaudy, Promesses de l'islam, éd. Seuil, Paris, 1981.